النفي بالإثبات في القرآن الكريم

- الاستفهام أنموذجاً -

الباحثة

فاطمة ضياء الدين عبد الجبار

Fdeaa33@gmail.com

الأستاذ الدكتور

فالح حسن الأسدي

hum.falih.hasan@uobabylon.edu.iq

جامعة بابل ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Negation by proof in the Noble Qur'an

- the interrogation as a model -

Researcher

Fatima Diaa El-Din

Prof. Dr.

Faleh Hassan

University of Babylon - College of Education for Human Sciences

الملخص:-

يسعى البحث للتعريف بأسلوب الاستفهام، في الدرس النحوي والبلاغي، سعيا لاكتشاف السمات التعبيرية التي يظهرها استعمال هذا الأسلوب في القرآن الكريم. وقد خصص البحث بعض أدوات الاستفهام لدراستها، وهي الهمزة وهل و مَنْ، يدفعنا البحث لاكتشاف إجابة محددة عن سؤال، هو مركز البحث: كيف يتم النفي بالإثبات بوساطة أسلوب الاستفهام؟ وما الدواعي اللغوية التي دفعت المتكلم إلى استعمال هذا الأسلوب وهذه الطريقة؟ ومن ثمّ محاولة تلمس الفارق التعبيري الذي يظهر في ظاهر الاستعمال القرآني لهذا الأسلوب.

الكلمات المفتاحية: النفي، الإثبات، الإثبات بالنفي، القرآن الكريم، الاستفهام.

Abstract:-

This paper aims at defining the style of interrogation in the grammatical and rhetorical lesson in order to discover the expressive traits of this style in the holy Qur'an. Some of the tools of interrogation are tackled in this study including al hamza, hal and min (from). The paper revolves around a pivotal question: how is negation achieved by affirmation through the style of interrogation? What are the linguistic reasons that made the speaker use this style and this way? It also aims at knowing the expressive difference that is apparent in the Qur'nic use of this style .

Keywords: negation, proof, proof by negation, the Noble Qur'an, interrogation.

مقدمة:ـ

يقوم بحثنا في هذه الوريقات على محاولة لاستجلاء مكامن الطابع الإعجازي في التركيب اللغوي للقرآن الكريم، وهو كشف نحاول الاقتراب فيه من الوقوف على المعاني التي يفرزها التركيب اللغوي المستعمل، فنصل إلى معنى المعنى - كما أطلق عليه الجرجاني -، أو الاقتراب من الأبعاد الدلالية للنص القرآني.

ومن هنا تحديدا كان سؤال البحث مرتبطا بطبيعة الأساليب التي يوظفها القرآن الكريم لإيصال معنى ما، فنجد أسلوب الاستفهام قد تجاوز غرضه الرئيس الذي استعمل من أجله وهو طلب المجهول، مجاوزا القرآن هذه الغرض إلى أغراض أخرى، لا تعدم الغرض الرئيس، بل تزيد عليه، فنجد أن بعض الأدوات الاستفهامية وقد استعملت لنفي معنى الجملة، على الرغم من أنها جاءت خالية من أدوات النفي، وليس ذلك وحسب بل وهي تشير إلى إثبات معنى معين، فتحدث حالة المزاوجة بين هذه الحالات الثلاثة، فنجد الاستفهام، ونجد النفي، وكذلك الإثبات، وهي سمة تعبيرية يقصر عن أدائها أيّ تركيب لغوي ينشئه المخلوق المتناهي.

هذا وقد انتظم البحث في مقدمة و محورين جاء الأول كاشفا عن أسلوب الاستفهام بشكل عام، ومن ثمّ حاولنا البحث عن النفي بالإثبات مع أدوات الاستفهام وقد انتخبنا منها ثلاث أدوات هي: الهمزة وهل ومَنْ، وهذا كان المحور الثاني. ثمّ خاتمة للبحث وقائمة للمصادر والمراجع.

النفي بالإثبات بأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم

أولًا: مفهوم أسلوب الاستفهام

أسلوب الاستفهام من أساليب الطلب والاستعلام عن شيء مجهول[١]، و قد عرّفه الجرجاني بقوله: ((هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور.))[٢].

وللاستفهام أدوات وهي على نوعين: أسماء، وحروف[٣]، وما يهمنا في هذا المبحث الحرفان: (الهمزة وهل) ومن الاسماء (مَن).

ثانياً: أسلوب الاستفهام اصطلاحاً.

ويخرج الاستفهام عن معناه الموضوع له وهو الاستخبار إلى دلالة النفي إذا أريد به الانكار ويكون إبطاليا[٤]، ويقصد به الاستفهام الإنكاري ويسمى أيضا (الإبطالي): وهو ((ما كان مضمونه غير واقع، ولا يمكن أن يحصل، ومدعيه كاذب، وهو بمعنى النفي، فأداته بمنزلة أداة للنفي، والكلام الذي دخلت عليه نفي، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء:١٢٢))[٥]، وأداة الاستفهام (مَن) خرجت إلى معنى النفي أي: لا أحد أصدق من الله قيلا[٦].

ثالثاً: أراء العلماء في أسلوب الاستفهام.

وهذا ما ذهب إليه ابن هشام في معرض حديثة عن الهمزة، وحدد لها ثمانية معانٍ منها: الْإِنْكَار الإبطالي وَهَذِه تَقْتَضِي أَن مَا بعْدهَا غير وَاقع وان مدعيه كَاذِب أي منفي وذكر آيات عدة سنأتي عليها، وبيَّن ابن هشام فائدة الهمزة إلا وهي نفي ما بعدها إذا دخلت على مثبت[٧].

وصرح ابن جني بدلالة بعض أدوات الاستفهام على النفي وساق له نصوصاً قرآنية في حديثه عن الهمزة في باب (نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها) فقال: ((ومن ذلك لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيًا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابًا. وذلك كقول الله سبحانه: ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ﴾ أي ما قلت لهم، وقوله: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ ٥ أي لم يأذن لكم... وإنما كان الإنكار كذلك لأن منكر الشيء إنما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضده، فلذلك استحال به الإيجاب نفيًا، والنفي إيجابًا.))[٨].

وبهذا يتبين لنا مما سبق أن الاستفهام يدل على النفي بمواضع سوف نتحدث فيها، وقد صار الاثبات نفيا بالاستفهام[٩].

- **النفي بهمزة الاستفهام:**

أولاً: أراء العلماء بنفي همزة الاستفهام.

تَبين مما سبق أن همزة الاستفهام تخرج إلى النفي في مواضع كثيرة شعراً ونثراً، وقد ورَّد هذا الأسلوب في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا

آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٣)، أنكر السفهاء الإيمان ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ ودلَّ الاستفهام على الانكار وبالتالي على النفي، قال الزمخشري: ((والاستفهام في أَنُؤْمِنُ في معنى الإنكار))[١٠]، أي بمعنى لا نؤمن فقد نفوا الإيمان عن أنفسهم وانكروا ذلك استهزاءً بالفريق الذي آمن بالرسول الأعظم- ﷺ -، وإلى المعنى نفسه ذهب الآلوسي بقوله: ((قالُوا أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أرادوا لا يكون ذلك أصلا فالهمزة للإنكار الإبطالي))[١١].

١- ويرى الطاهر بن عاشور الرأي نفسه بقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ اسْتِفْهَامٌ لِلْإِنْكَارِ، قَصَدُوا مِنْهُ التبري مِنَ الْإِيمَانِ عَلَى أَبْلَغِ وَجْهٍ، وَجَعَلُوا الْإِيمَانَ الْمُتَبَرَّأَ مِنْهُ شَبِيهًا بِإِيمَانِ السُّفَهَاءِ تَشْنِيعًا لَهُ وَتَعْرِيضًا بِالْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ سَفَاهَةُ عُقُولِهِمْ﴾[١٢].

٢- وعلى هذا أجمع المفسرون والبلاغيون على أنه استفهام أنكاري[١٣] وبما أنه انكاري فهو يدل على نفي الإيمان، وهذا الاسلوب المثبت الدال على النفي أكثر شدة وأبلغ لبيان المعنى ألا وهو رفض الإيمان من قبل المنافقين ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا لكفرهم سبباً وهو إيمان السفهاء كما وصفوهم؛ والسفيه: قليل الادراك من الخفة والطيش[١٤]، والحق إنهم هم السفهاء كما أكد القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ فجاء التوكيد ب(إنَّ) وضمير الفصل (هم).

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الاسراء:٤٠) الخطاب في هذه الآية موجه للمشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله سبحانه، فكان الرد الالهي بأسلوب الاستفهام الدال على النفي ليثير انتباه السامعين ويمحو ما نُسب لربِّ العزة الذي وصفه الله تعالى بالقول العظيم، والهمزة للإنكار ((أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذ أدونهم وهي البنات؟ وهذا خلاف الحكمة))[١٥].

١- ونسب الرازي للنحويين قولهم: ((هَذِهِ الْهَمْزَةُ هَمْزَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَى صِيغَةِ السُّؤَالِ عَنْ مَذْهَبٍ ظَاهِرِ الْفَسَادِ لَا جَوَابَ لِصَاحِبِهِ إِلَّا بِمَا فِيهِ أَعْظَمُ الْفَضِيحَةِ.))[١٦].

وبذلك أنكر عليهم قولهم وأبطل ادعاءهم؛ لأن الهمزة دلت على الانكار ((وهو إنكار على من ادعى وقوع الشيء، والحق أنه غير واقع، وذلك كالآية السابقة، فإنهم ادعوا أن الملائكة بنات الله، فأنكر ذلك عليهم وأبطل قولهم، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (الصافات ١٤٩).))[١٧].

والتحول في الكلام من الإثبات إلى النفي يزيد النص قوة ويأخذ بعدا جمالياً؛ لأن ((الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد))[١٨].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ (إبراهيم:١٠) جاء بلفظ الاستفهام المتضمن معنى النفي ولم يقلْ: (لا شك فيه)، وهذا الانتقال في الأسلوب ليثير انتباه السامع ويبطل شك أهل الكفر والضلال ويفضح ما يحاولون إنكاره وما وصفوه بالريب ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (إبراهيم:٩)، وجاء بالدلائل على إنكار قولهم إلا وهو ((فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) فتعالى الله عما يصفون فالسماوات والارض لابد لها من خالق، ولا شك في أن خالقها الله سبحانه، ((مبالغةً في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلاً عليهم بسخافة العقول أي أفي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوبِ الإيمان به وحده شك ما وهو أظهرُ من كل ظاهر وأجلى من كل جلي حتى تكونوا من قِبله في شك مريب وحيث كان مقصدُهم الأقصى الدعوةَ إلى الإيمان والتوحيد))[١٩]، فجيء بهمزة ((الإنكار على الظرف، لأن الكلام ليس في الشك، إنما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ))[٢٠].

٢- قال أحمد الهاشمي:((إن الانكار إذا وقع في الاثبات يجعله نفيا - كقوله تعالى: «أفي الله شك» أي لا شك فيه، وإذا وقع في النفي يجعله اثباتا، نحو: قوله تعالى «ألم يجدك يتيما» أي: قد وجدناك، وبيان ذلك: أن انكار الاثبات والنفي نفي لهما، ونفي الاثبات نفي - ونفي النفي اثبات، ثم الانكار قد يكون للتكذيب، نحو أيحسب الانسان أن يترك سدى - وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع. نحو: «أتعبدون ما تنحتون» وهذه الآية من كلام ابراهيم a لقومه، حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة.))[٢١].

ودخول همزة الاستفهام على شبة الجملة والمرَّاد النفي ورَّد في الشعر أيضاً قال الشاعر[٢٢]:

أفي الحق أن يُعطى ثلاثون شاعرا ويُحرم ما دون الرّضا شاعرٌ مثلي

فدلت همزة الاستفهام في قوله (أفي الحق) على الإنكار المتضمن معنى النفي، أي لا ينبغي أن يكون وليس من الحق، بمعنى: ((أنه لا ينكر الاعطاء، ولكنه ينكر أن يعد ذلك حقا وصوابا مع حرمانه هو))[٢٣].

ثانياً: موارد خروج همزة الاستفهام إلى معانٍ أخر.

وقد تخرج همزة الاستفهام إلى معانٍ أُخر إضافة إلى دلالتها على النفي ومنها: التعجب والتوبيخ والتهكم والإنكار...وغيرها، و قال السكاكي وهو يذكر قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة:٢٨) بقوله: ((فصح أن يكون قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ على آخر الآية تعجبا وتعجيبا وإنكارا وتوبيخا، وكذلك يقال أين مغيثك للتوبيخ والتقريع والإنكار))[٢٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ (المائدة: ١١٦)، انقسم المفسرون في معنى همزة الاستفهام على قسمين: منهم من ذهب إلى إنها تعني الإثبات، أيّ: أقلت للناس يا عيسى ذلك؟ وذهب قسم منهم إلى أنها تعني النفي أيّ: ما قلت[٢٥]، نصَّ على ذلك ابن جني في باب (نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها) فقال: ((ومن ذلك لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيًا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابًا. وذلك كقول الله سبحانه: ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ﴾ أي ما قلت لهم، وقوله: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ أي لم يأذن لكم... وإنما كان الإنكار كذلك لأن منكر الشيء إنما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضده، فلذلك استحال به الإيجاب نفيًا، والنفي إيجابًا.))[٢٦]، وتابعه الألوسي حينما ذكر الآية فقال: ((والله يعلم أن عيسى لم يقل ذلك))[٢٧]، والنفي بهمزة الاستفهام الداخلة على النصّ أسلوب من أساليب العربية الذي ورَّد في نصوصهم شعراً ونثراً ومنه قول امرؤ القيس[٢٨]:

أيَقْتُلُني وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ومَسْنُونَةً زُرْقٌ كأنيابِ أَغْوَالِ

فقوله (أَيَقْتُلُني) بمعنى (لا يقتلني) مادام السيف يلازمني ولا يفارقني، واستعمل لفظة (مضاجعي) مع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل (يقتلني) كناية عن ملازمة السيف وعدم مفارقته حتى في أثناء النوم وفي ذلك قوة في دلالة الهمزة على النفي، فلو قال: ما يقتلني والمشرفي مضاجعي، لكانت العبارة أضعف وأقل قوة.

ومنه قول الشاعر[٢٩]:

أعندي وقد مارسْتُ كلَّ خَفِيّةٍ يُصَدّقُ واشٍ أو يُخَيّبُ سائِل

فهمزة الاستفهام الانكاري دلت على النفي في (أعندي)، بمعنى ليس عندي أي لا يخدع ولا يصدق الواش ولا ينبغي أن يكون.

وقد ورد في الشعر غير أداة الاستفهام (الهمزة)، فقد يتعداها إلى أسماء الاستفهام وأدت المعنى نفسه إلا وهو النفي مثل (كيف)،كقول الشاعر[٣٠]:

وكيف أخافُ الفقرَ أو أُحرم الغنى ورَأْيُ أمير المؤمنين جميلُ؟

كيف أخاف أي بمعنى لا أخاف، فكيف جاءت بمعنى النفي وتحول الكلام من المثبت إلى المنفي، وذلك اوقع في المدح.

ويلاحظ تعدد الاغراض التي يخرج لها الاستفهام كما تتعدد المعاني التي يدل عليها ومن بين هذه الاغراض إلى معنى النفي الجرجاني بقوله: ((أنه لِيَتَنَبَّه السامعُ حتى يَرجعَ إلى نفسِه فيخجلَ ويرتدعَ ويعيي بالجواب))[٣١].

- **النفي بـ(هَلْ):**

أولاً: مفهوم النفي بـ(هل).

وهو حرف الاستفهام الذي لا محل له من الاعراب، ويتفق مع الهمزة في معنى الاستفهام الدال على النفي في نصوص معينة، وذكر الزركشي فرقاً في دلالة (الهمزة وهل) فذكر أن المستفهم بـ(هل) لا ظن فيه مطلقاً بخلاف الهمزة فإنه لابد أن يكون معها إثبات فقولنا: أعندك زيدٌ؟ فقد هجس في نفسه أنه عنده، أما قولنا: هل عندك زيدٌ؟ بمعنى أنه لا ظَّن له بوجودهِ مطلقاً[٣٢]، وهو فرق غريب لم أطلع عليه في كتابٍ أخر.

ثانياً: معان (هل) باللغة العربية.

١- و(هل) تأتي بمعنى النفي كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن:٦٠)، أيّ: (ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب) وقيل: (ما جزاء التوحيد إلا الجنَّة)[٣٣]، فجيء بالاستفهام للإثبات ثم أنكر هذا الإثبات بدلالة النفي[٣٤]، فيكون النفي أبلغ في إيصال المعنى إلى المخاطب فينتبه السامع ويبحث عن جواب السؤال المبدوء ب(هل) حتى إذا استشعر النفي لم يجد بُداً من الاعتراف بحقيقة جزاء الإحسان وحصره بثواب الانسان والتسليم لَّما يقوله الله تعالى، قال ابن عاشور: ((وَالْاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي النَّفْيِ، وَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِالْاسْتِثْنَاءِ فَأَفَادَ حَصْرَ مُجَازَاةِ الْإِحْسَانِ فِي أَنَّهَا إِحْسَانٌ، وَهَذَا الْحَصْرُ إِخْبَارٌ عَنْ كَوْنِهِ الْجَزَاءَ الْحَقَّ وَمُقْتَضَى الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ))[٣٥].

فدلالة (هل) الاستفهامية على النفي بوجود (إلا) أفادت القوة والحصر[٣٦]، وذلك ((بخلاف الهمزة فإنها لا تأتي لهذا المعنى، فلا يقال: (أحضر إلا محمد)))[٣٧]، وكذلك باستعمال (هل وحرف الباء) كما في قول الفرزدق[٣٨]:

ويقول إذا أقلولي عليها وأقْرَرَتْ ... ألا هَلْ أخو عيشٍ لذيذٍ بدائمِ

والشاهد (هَلْ أخو عيشٍ لذيذٍ بدائمِ) فدلت هل على النفي وقلبت المعنى من الإثبات إلى النفي أي بمعنى (ليس أخو عيش لذيذ بدائم)، وبذلك دخلت الباء في خبر المبتدأ (بدائم).

٢- وقد يستفاد من (هل) معنى النفي فضلاً عن معانٍ أخرى كالتعجب والاستنكار كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء:٩٣)، فجيء بالاستفهام (بهل) الدالة على النفي بمعنى (ما كنت إلا بشرا رسولا)، فقلب أسلوب الاثبات إلى النفي، قال الدكتور فاضل السامرائي: ((استنكار قولهم، والتعجب من طلبهم، فهو يسألهم (هل كنت إلا بشراً رسولا) وسيكون الجواب حتما (لا لست إلا بشراً) ومن هنا يكون التعجب والإستنكار، وهو أنه إذا كنتم تعلمون إني بشر فكيف تطلبون مني مثل هذا؟))[٣٩]، واستعمال حرف الاستفهام بدل من النفي الصريح يجعل المخاطب يتأمل في الاستفهام المتضمن معنى النفي، قال الدكتور فاضل السامرائي: ((فالنفي ابتداء يفيد أن المتكلم يقول الأمر من

نفسه، وأما في الاستفهام فإنه يدع ذلك للمخاطب ليقوله.))[٤٠].

ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف:٣٥) فالاستفهام ب(هل) في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ بمعنى النفي: ((أَيْ فَلَا يُصِيبُ الْعَذَابُ إِلَّا الْمُشْرِكِينَ أَمْثَالَهُمْ.))[٤١] ونصَّ ابن عاشور على أن الاستفهام خرج إلى النفي فقال: ((وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي النَّفْيِ.))[٤٢]، واستعمل (إلا) بأنها افادت الحصر فيكون محصوراً بالفاسقين ودائراً بهم لا يتعدى للمؤمنين، وكأن المخاطب يشارك في تحديد الجواب.

ومنه قول الشاعر[٤٣]:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

بمعنى (ما أنا إلا من غزية...) فجيء بأسلوب الاستفهام بـ(هل) الدال على النفي وقلب الكلام من أسلوب الاثبات إلى النفي، وكأنه يطلب الاجابة من المخاطب.

- **النفي بـ(مَنْ).**

أولاً: مفهوم (من):

اسم استفهام يستفهم به عن العاقل، ويعرب حسب موقعه من الجملة[٤٤]، وخروجه عن الاستخبار إلى النفي مشابه لما سبق من (الهمزة وهل) وقد بينا سابقاً أن دلالة اسم الاستفهام على النفي، أقوى من دلالة النفي المجرد نفسه؛ لأن النفي بواسطة الاستفهام يدل على علم المتكلم بالجواب والاقرار به من قبل المخاطب[٤٥].

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف:٣٢)، فقوله تعالى: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ دلَّ على النفي الممزوج بالتهكم والسخرية من أهل الجاهلية في جعلهم بمنزلة العالم بالتحريم في سبيل التهكم والسخرية من تحريمهم فهم يحرمون الزينة والطيبات من الرزق على أنفسهم، وهذا التحريم نفاه الله تعالى بأسلوب الاستفهام الانكاري[٤٦] بمن الاستفهامية، فقلب الاسلوب من الاثبات إلى النفي لتنبيه والسخرية من تحريمهم على أنفسهم هذه المباحات.

ثانياً: أساليب (من) ومعانيها.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (الروم:٢٩) ففي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ حيث وظف أسلوب الاستفهام بـ(من) ودلّ على معنى النفي أيّ: (لا هادي لمن أضله الله)[٤٧].

ونصَّ على ذلك ابن عاشور وقال: ((وَمن اسْمُ اسْتِفْهَامٍ إِنْكَارِيٍّ بِمَعْنَى النَّفْيِ فَيُفِيدُ عُمُومَ نَفْيِ الْهَادِي لَهُمْ، إِذِ التَّقْدِيرُ: لَا أَحَدَ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ لَا غَيْرُهُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ، فَإِنَّهُمْ من عُمُوم مَا صدق فَمَنْ يَهْدِي.))[٤٨].

وبذلك قلب الكلام من الاثبات إلى النفي بتوظيف أسلوب الاستفهام الانكاري، والذي زاد النفي توكيدا ودل عليه هو العطف على نفي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٤٩]، فزاد نفي الجملة الأولى قوة في الدلالة على النفي [٥٠].

ومنه قول الفرزدق[٥١]:

أينَ الذين بهم تُسامِي دارِماً ... أمْ منْ إلى سلفيْ طهيَّة تَجْعلُ

ففي قوله: (منْ إلى سلفيْ طهيَّة تَجْعلُ) أيَّ بمعنى: ما إلى هذه القبيلة تنسب لأنها قبيلة الأم.

ويخرج الاستفهام الحقيقي إلى النفي مع وجود أداة الاستثناء (إلا) نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ بمعنى (ما يغفر الذنوب إلا الله) و(لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)، ولا يكون ذلك إلا في (هل ومن)[٥٢]، فقلب المعنى من الاثبات إلى النفي بتوظيف الاستفهام الانكاري وأدى معنى النفي والحصر معا.

الخاتمة:

وأفاد البحث أن الاستفهام يخرج عن معناه الموضوع له وهو الاستخبار إلى دلالة النفي، وبذلك قلب الكلام من الاثبات إلى النفي بتوظيف أسلوب الاستفهام الانكاري، كقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾(إبراهيم:١٠) أي: لا شك فيه، وهذا التغيير والانتقال من أسلوب

الإثبات إلى النفي بتوظيف أسلوب الاستفهام يخرج لأغراض بلاغية منها: التنبيه والتذكير والتوبيخ والسخرية والتأكيد والإقرار من قبل المخاطب إضافة للبعد الجمالي للنص وغيرها؛ فيكون النفي أبلغ في إيصال المعنى إلى المخاطب فينتبه السامع ويبحث عن جواب السؤال المطروح إذا استشعر النفي لم يجد بُداً من الاعتراف بحقيقته، وأثبت البحث أن الاستفهام الإنكاري يدل على أسلوب النفي بالإثبات، وهذا أتَّضح في أدوات الاستفهام المحددة وهي: (الهمزة وهل ومن).

هوامش البحث

(١) - ينظر: جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي: ٧١، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه - إعرابه لعبد الكريم يوسف: ٨.

(٢) - التعريفات للجرجاني: ١٨.

(٣) - ((الاسماء: من، وَمَا، وأي، وكم، والأخريات: كيف، متى...ألخ. الحروف: الهمزة، وهل)) ينظر: اللمع في العربية لابن جني: ٢٢٧.

(٤) - ينظر: مفتاح العلوم: ٣١٥/١، الكليات لأبي البقاء الكفوي: ٩٩.

(٥) - النحو الوافي لعباس حسن: ٦٠١/٣.

(٦) - ينظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٩.

(٧) - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام: ٢٤/١-٢٥.

(٨) - الخصائص لابن جني: ٢٧٢/٣.

(٩) - بنظر: الطارئ في العربية للدكتور فالح حسن الاسدي: ٣١.

(١٠) - الكشاف: ٦٤/١.

(١١) - روح المعاني: ١٥٧/١.

(١٢)- التحرير والتنوير: ٢٨٧/١.

(١٣) - ينظر: التفسير البلاغي.....: ٣٨.

(١٤) - ينظر: البحر المحيط: ١٠٢/١.

(١٥)- الكشاف: ٦٦٨/٢.

(١٦) -مفاتيح الغيب: ٣٤٥/٢٠.

(١٧) - معاني النحو: ٢٣٤/٤.

(١٨) - الكشاف: ١٤/١.

(١٩) - تفسير أبو سعود: ٣٦/٥.
(٢٠) - المصدر السابق: ٥٤٢/٢، وينظر: البحر المحيط: ٤١٤/٦، وينظر: مفاتيح الغيب: ٧٠/١٩.
(٢١) - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي: ٧٨.
(٢٢) - ينظر: ثمرات الأوراق لتقي الدين بن حجه الحموي: ١٨.
(٢٣) - جواهر البلاغة: ٨١، وهو ابو سعيد الرستمي.
(٢٤) - مفتاح العلوم: ٣٤١/١.
(٢٥) - ينظر: معاني إعراب القرآن للزجاج: ٢٢٢/٢، وتفسير الطبري: ٢٣٤/١١،و روح المعاني: ٦١/٤، تفسير البيضاوي: ١٥١/٢.
(٢٦) - الخصائص لابن جني: ٢٧٢/٣.
(٢٧) - روح المعاني: ٦١/٤.
(٢٨) - من ديوانه: ٣٣، ومن شواهد دلائل الأعجاز: ١١٧.
(٢٩) - من شواهد جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٢٥.
(٣٠) - المصدر السابق: ٨٢.
(٣١) - دلائل الاعجاز: ١١٩/١-١٢٠.
(٣٢) - ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٤٣٣/٤.
(٣٣) -ينظر: روح المعاني: ١١٩/١٤-١٢٠.
(٣٤) - ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٤٨/٢.
(٣٥) - التحرير والتنوير: ٢٧١/٢٧.
(٣٦) - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ٤٥٩، ومعاني النحو: ٢٣٤/٤.
(٣٧) - معاني النحو: ٢٣٤/٤.
(٣٨) - ينظر: تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام: ٢٨٦/١، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ٤٥٩، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي: ٦٠٧/٢.
(٣٩) - معاني النحو: ٢٤٤/٤.
(٤٠) - المصدر السابق: ٢٤٤/٤.
(٤١) - المصدر السابق: ٢٤٤/٤.
(٤٢) - التحرير والتنوير: ٦٩/٢٦.
(٤٣) - ينظر: مغني اللبيب: ٣٠٧/٢.
(٤٤) - ينظر: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه- إعرابه: ١٨.
(٤٥) - ينظر: أساليب النفي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية -سورة غافر نموذجا: ٣٨.
(٤٦)- ينظر: الكشاف: ١٠١/٢، والتحرير والتنوير: ٦٩/٨.

(٤٧) - ينظر: تفسير القرطبي: ٢٣/١٢.

(٤٨) - التحرير والتنوير: ٨٨/٢١.

(٤٩) - ديوانه: ٤٩٠، ومن شواهد الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس: ١٣٦.

(٥٠) - ينظر: رسالة ماجستير: أساليب خطاب النفي في القرآن الكريم: ٧٦.

(٥١) ينظر: شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى: ٣٥٦/١، والصحابي في فقه اللغة العربية: ١٣٧.

(٥٢) ينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لابي حيان الاندلسي: ٢٠٢/٨، معاني النحو: ، تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: ٤٧٢/١.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أساليب النفي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية -سورة غافر نموذجا-، عبد الرزاق موفاري، رسالة ماجستير، جامعة العقيد أكلي محند-الجزائر:٢٠١٢م.

٢- أساليب خطاب النفي في القرآن الكريم، ميسومي نور الهدى، رسالة ماجستير، جامعة وهران-الجزائر: ٢٠١٥م.

٣- أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه - إعرابه، عبد الكريم محمود يوسف، الناشر: المؤلف طبع في مطبعة الشام، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠م.

٤- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٥- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٧- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، المحقق: د. عباس مصطفى الصالحي (كلية التربية - بغداد)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٨- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، المحقق: د. حسن هنداوي، الناشر: دار القلم - دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ - ١٤٣٤ هـ / ١٩٩٧ - ٢٠١٣ م.

٩- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٠-التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة عابدين- القاهرة، الطبعة: الثالثة ٢٠١١م.
١١-تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
١٢-تفسير الطبري (جامع البيان)،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣- تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٤-ثمرات الأوراق (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبشيهي)، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (ت٨٣٧هـ)،الناشر: مكتبة الجمهورية العربية، مصر.
١٥-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
١٦- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
١٧- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ)،المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٨- ديوان امرئ القيس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت٥٤٥م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)،المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢٠- شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى (برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه)، تحقيق: محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة: الثانية، ١٩٩٨م.

٢١- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)،الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٢٢- الطارئ في العربية، الدكتور فالح حسن الأسدي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن.
٢٣-كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٢٥-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٦-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٧-اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)،المحقق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت.
٢٨- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢٩- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٣٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)،المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
٣١- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
٣٢-مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٣٣- النحو الوافي، عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)،الناشر: دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.
٣٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر.